هذا عن التصفية الجسدية للطوائف . اما عن التصفية الثقافية فقد خصص لها تدوري دراسة بعنوان « الدين والسياسة » يقول في بدايتها « ان احدى المعالم المعروفة جيدا في السياسة الفلسطينية اثناء الانتداب هي أن المسيحيين واغلبيتهم ارثوذكس — برزوا متضامنين مع المسلمين في الكفاح ضد الصهيونية . لقد اكدوا ان المسلمين والمسيحيين كانوا جزءا من الامة العربية ، وان هذه الحقيقة جعلت تضامنهم طبيعيا وحتميا ولم تنحرف الطائفة المسيحية الارثوذكسية قط عن الالتزام بمبادىء القومية العربية والنضال القومي ، وفي حين واصل البريطانيون تقسيم فلسطين على النحو العثماني التقليدي طبقا للعقيدة الدينية — كان المراقبون يندهشون للتضامن بين المسلمين والمسيحيين، الذين تجاوزوا التميز القديم بين الفريقين . وفي اطار القومية العربية التحم الجميع ووجدوا فيها انتهاء بتجاوز التبعية الطائفية القديمة » .

هنا نجد دحضا واقعيا للفكرة الصهيونية التي تنادي بعدم امكان التعايش بين الاديان ، ولهذا يعرض تدوري نتيجة التجربة : أن الالتحام الذي يتجاوز الدين ، في اطار القومية — لم تكن نتيجته الا تصفية ثقافية للاقلية . ويقدم الكاتب دليلا على ذلك — حالات الصراع بين بعض المفكرين المسيحيين وطوائفهم ، الامر الذي ادى بهؤلاء المفكرين الى ترك طوائفهم التقليدية بالاضافة الى ان الطابع الاسلامي غلب القومية العربية فأصبحت تضيق عن استيعاب غير المسلمين استيعابا كاملا .

ويواصل المؤلف هجومه على المسيحيين في المنطقة — فعن طريقهم انتقل الفكر المعادي للسامية من اوروبا الى الشرق الاوسط خلال القرن التاسع عشر اذ نقل هؤلاء عقائد اللاهوت المسيحي التقليدية المعادية لليهود من اوروبا وبذلك اختلطت معاداة اليهودية بمعاداة الساميةبمعاداة الصهيونية من خلال الجماعات المسيحية التي كانت على دراية بالادب الغربي المعادي للسامية .

ويتشفى استاذ السياسة في هؤلاء المسيحيين لان حماسهم الملتهب لم يجدهم كثيرا وانتهى الامر الى كارثة مع تقسيم فلسطين ونزوح الفلسطينيين ومن بينهم نسبة كبيرة من المسيحيين الى خارجها .

وفي تخابث مكشوف ينهي هذه الدراسة « قد يقال انهم لو ظلوا بعيدين عن الصراع العربي الصهيوني وعن القادة المسلمين غير الاكفاء فأن الكارثة ما كانت تحيق بهم على النحو الذي حدث » كان من بقي داخل اسرائيل من العرب مسلمين ومسيحيين صارت له الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي يرضى عنها استاذ السياسة .

أين هذا الاستثناء اذن من هذا الفشل العام في تطبيق الحل القومي بين شعوب المنطقة؟ يخصص تدوري دراسة عن « السير هربرت صموئيل وحكومة فلسطين » يعرض فيها لانجازات المعتمد البريطاني الاول في فلسطين بعد الانتداب ويبرز نجاح التجربة . هنا لا نجد المؤلف يتمسك بموقفه السابق بشأن الفكرة القومية : اللعنة الوافدة من الغرب الى الشرق الاوسط ، على العكس تماما انه يعرض الانجازات التي حققتها « القومية اليهودية » من خلال الصهيونية على أرض فلسطين بارتياح تام ، ولا يثير الكاتب قط اي نقد للشعور الاوروبي بالزيف من نحو اليهود وهو الشعور الذي كان وراء مناصرة الصهيونية واسرائيل فهذا الشعور بالذنب في هذه الحالة — مشروع وله ما يبرره — على عكس الحال حيث لم يتخذ موقف المناصرة للحق العربي . فحين عهد لويد جورج الى هربرت صموئيل — وهو يهودي — في ابريل ١٩٢٠ بالاشراف على حكومة فلسطين في بداية عهد الانتداب « كان يدرك تماما ان يقدم هذا المركز الى شخص متعاطف مع الصهيونية وسيجهد لانجاح البرنامج الصهيوني ثم يورد الكاتب بعضا من مواقف صموئيل المبكرة في اقتراح اقامة دولة يهودية في فلسطين في اثر انضمام تركيا الى المانيا في الحرب العالمية الاولى ويورد مقتطفات مما كان يكتبه صموئيل في مدح العبقرية اليهودية ويقدمه للوزراء الانجليز فيخلص منها الى ان « هذه الكلمات تكشف بوضوح عن صهيوني مقتنع بالنظرية يقبل التحليل الصهيوني للمشكلة اليهودية دون تحفظ » ، وظل طول الحرب وحتى تم تعيينه — سواء كان في منصب رسمي او لم يكن — متعاطفا مع الحركة الصهيونية ، ومقدما لها كل المساعدات التي يستطيعها ، فاذا سئل عن كيفية توفيقه بين عواطفه الصهيونية ومهامه في السياسة البريطانية فأن الاجابة التي يقدمها هي